جبال فوق الجبال

لما اشتدت غارات الصليبين وأحلافهم على أسد الموحدين وشيخ المجاهدين أبي عبد الله أسامة بن لادن حفظه الله، احتمى هو ومن معه بالجبال وكهوفها.. قال شيخنا أبو محمد المقدسي حفظه الله: " **ورأيت ليلتها – أي في المنام – أن سيفاً أثرياً عظيماً قد شق جبلاً عظيماً إلى نصفين؛ وغاب في أعماقه**.. فلما أصبحت استبشرت بها وعلمت كذب أعداء الله؛ **وأولت السيف الأثري بأسامة الذي سلك أثر النبي صلى الله عليه وسلم في جهاده**؛ وأن هذا الجهاد سيشق أمريكا ويمزقها كل ممزق؛ **وأنه آمن في أعماق الجبال لم يمسسه سوء**.".اهـ [وجوب نصرة المسلمين في أفغانستان ص14]

وفي هذه الفترة قام الناعقون من هنا وهناك، يزعمون أن الاحتماء بالجبال، ليس من صنيع الرجال! وأن التخفي في الكهوف، ليس من هدي أرباب السيوف! وقولهم هذا كذب وبهتان، مصادم للسنة وآي القرآن..

قال الله تعالى: (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه **فهربوا منهم فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم**.اهـ

وقال الله تعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في **الغار** إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى : (إلا تنصروه) أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه **فخرج منهم هاربا بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة** أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) .. أخرجاه في الصحيحين..اهـ

وقال الله تعالى: (والله جعل لكم مما خلق ظلالا **وجعل لكم من الجبال أكنانا** وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) عن قتادة قال: قوله : (وجعل لكم من الجبال أكنانا) يقول: **غيرانا من الجبال يسكن**

فيها.اهـ وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: (وجعل لكم من الجبال أكنانا) **أي حصونا ومعاقل**.اهـ وقال الإمام القرطبي رحمه الله: (أكنانا).. **وهي هنا الغيران في الجبال جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها** ... وفي صحيح البخاري قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا هاربا من قومه فارا بدينه مع صاحبه أبي بكر حتى **لحقا بغار في جبل ثور** فكمنا فيه ثلاث ليال ..).اهـ

وفي غزوة أحد؛ نزل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب من جبل أحد في عدوة الوادي، فعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة، وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد، ثم انتخب فصيلة الرماة، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، **وأمرهم بالتمركز على جبل** يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة –وعرف فيما بعد بجبل الرماة– وقال: (انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك) [السيرة لابن هشام 65/2]. ثم قال للرماة: (احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا) [أخرجه أحمد]، وفي رواية البخاري أنه قال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير **فلا تبرحوا مكانكم هذا** حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم).

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية تحصن عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين في آخر الزمان فقال: (فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم **فحرز عبادي إلى الطور** ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) [أخرجه مسلم] قال الإمام النووي رحمه الله: ومعنى (حرزهم إلى الطور) **أي ضمهم واجعله لهم حرزاً** .. ووقع في بعض النسخ (حزب) بالحاء والزاي والباء **أي اجمعهم**. قال القاضي: وروي حوز بالواو والزاي ومعناه **نحهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور**.اهـ [شرح صحيح مسلم 91/18] وقال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: و(**الطور**) **جبل معروف في سينا**.اهـ [منة المنعم في شرح صحيح مسلم 376/4]

وفي إحدى معارك سيف الله المسلول –خالد بن الوليد– رضي الله عنه، ولما اشتد القتال وحمي الوطيس، أشار المسلمون على خالد بالالتجاء بأجا وسلمى، قال السهيلي: **أجا وسلمى هما جبلان بأرض الحجاز**.اهـ [البداية والنهاية 191/2]

وعن ابن عمر أن عمر وجه جيشا ورأس عليهم رجلاً يقال له سارية، قال فبينما عمر يخطب فجعل ينادي **يا سارية الجبل يا سارية الجبل ثلاثا**، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك **إذ سمعنا مناديا يا سارية الجبل ثلاثا**

فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله. قال فقيل لعمر انك كنت تصيح بذلك. [ذكره ابن كثير وقال عن إسناده: وهذا إسناد جيد حسن. (البداية والنهاية 131/7)] وفي رواية: (**سمعنا قائلا يقول يا سارية الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه**) أي: إلى الجبل.

كنا جبالاً في الجبال وربما سرنا على موج البحارِ بحاراً
لن تنسَ أمريكا ولا أذنابها ضحكاتنا والبرج يقذف ناراً

وكتب: أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري
1430هـ - 2009م